



### نوط

المقصود « بالشعر والشعراء » كتاب ابن قتيبة النقاد القديم المعروف . انما هو كتاب جديد<sup>(١)</sup> ألّفه نقاد لبناني معاصر في الشعر والشعراء المعاصرين ، واصدره من زاوية عزله في احد سجون المكسيك ، فشرته على العالم العربي جريدة الهدى النيويوركية . ظهر الكتاب أولاً مقالات متتابعة احدثت شيئاً من الارتياح المزوج بالاعجاب في قلوب البيض ، وشيناً من الانتباض المخلط بالقلق في قلوب البعض الآخر ، اذ رأوا فيها جرأة لم يتعودوها ، ووجهة في النظر لا هي بالقدية التقليدية ولا هي بالجديدة الصرفة . فكان ان من اعتبروا الكتاب أولاً ملهاة ادبية لا بأس ان يلهو بتكيبها من ارغم على اعتزال الناس ، ولا بأس ان يطلع عليها من تروقهم مظاهر الادب ، اعدوا النظر فيه مدققين فرأوا آراء وملاحظات قد يجدر بالاديب ان يتبها لها ، ويتوقف عند بعضها . وكان ان توفي ثلاثة من الشعراء الذين يذكورهم الناقد دارساً شاعريتهم ، وهم محبوب الحوري الشرتوني ( ٢٢ حزيران ١٩٣١ ) وحافظ ابراهيم ( ٢١ تموز ١٩٣٢ ) واحمد شوقي ( ١٣ تشرين الاول

(١) الشعر والشعراء : فصول انتقادية ادبية بقلم خليل ضاهر . نُشرت تباعاً في جريدة الهدى بتوقيع د ابن جنيته - مطبعة الهدى اليومية في بروكلن ، نيويورك ، سنة ١٩٣١ ، ٢٠٠ صفحة متوسطة .

١٩٣٢). فاصبح من المفيد ان تُعرف احكام المؤلف فيهم ، وهم احياء ، فُتعرض الى جنب الاقوال الكثيرة المتباينة التي تناهت ، ولما تزل ، على صفحات الجرائد والمجلات منذ وفاتهم ، ولاسيما منذ وفاة الاخير منهم . وكان من احكام الظروف ان الكتاب لم ينتشر الانتشار الكافي في بلادنا الشرقية . قرأنا ان نعرض له فنتجهد في استخراج روح كاتبه ، ووجهة نظره في الحكم على معاصره من الشعراء ، وذلك على طريقة موضوعية بحتة ، محتفظين بمحنت تطبيق بعض الملاحظات على الاحكام المختلفة .

يقول المؤلف مذهباً في النقد نعتقد ان من المفيد تحديده والاطلاع عليه ، لانه مذهب انتقالي قد يصح من الصعب ان نرى كثيراً من ممثليه في المستقبل . هو مذهب انتقالي في الثقافة الادبية ولاسيما الشعرية منها : انتقالي باختياره الشعراء الذين كانت تدور اسماؤهم على الالسنه ، لعشرين سنة خلت ، في الاتدية البنائية خصوصاً ؛ انتقالي باعراضه عن غيرهم من المعاصرين الذين لم ينبغوا الا بعد الحرب الكبرى ؛ انتقالي بطريقة تذوقه اولئك الشعراء وتحليل مواهبهم ؛ انتقالي بنوعية حكمهم عليهم ناظراً خصوصاً الى ما يدعوه «بالصناعة الشعرية» . وهكذا فاننا نرى الناقد يستند من اسلوب الاقدمين الى التحاليل البنائية على انواعها وما تجرّه من مأخذ يتعلّق اكثرها بالصناعة المذكورة ، ويستند من اسلوب المحدثين الى تعليل هذه المآخذ المتنوعة والى شيء من تقدير معنوية الشعر المنقود . يضيف الى ذلك فطرة نقدية لا بأس بها ، وجرأة تروق كل من يطالعه مجرداً عن الاهواء . ألا انه لا يصل من كل هذه العناصر النقدية الى اسلوب متمسك الاجزاء ، واضح الرسوم ، ذي وحدة ادبية ماثلة المظاهر . انما الكتاب اشبه بتعاليت متنوعة من بيانية لفظاً ومعنى ، وعروضية ، ولغوية ، ونحوية ، وتاريخية ايضاً على كثير من شعر المعاصرين ، تعاليت مفيدة بافرادها ، ولكنها ، كمجموعة ، لا تولّف تلك الوحدة الضرورية التي اشرفنا اليها . ولعل لوجود الكاتب بعيداً عن كل مرجع ادبي «حيث لا كتاب ثقة يُركن اليه او ديوان شعريّتان به»<sup>(١)</sup>

ولكونه كتب فصله دون سابق تصميم فلم يُقدّر ما سوف يتسع له الكلام حتى انه شعر ببعض النقص « فلم يجد بعدئذٍ من سبيل الى الزيادة على ما كان قد نُضدّ وأُشّر على صفحات «المدى»<sup>(١)</sup>؛ لعلّ لكلّ هذا تأثيراً في ما نراه من نقص تأليفي في كتاب دلّ على جهد بليغ واطلاع واسع اذ كان ثمرة «ما بنلت اليه الطاقة بين الفرار من المكينة واليسير من فتور اختلاجات النفس.»<sup>(٢)</sup>

يتضمن الكتاب دروساً متنوعة في عشرة من اشهر شعراء العصر المتداولة اسماؤهم منذ اكثر من عشرين سنة ، متفرّقين في مصر ولبنان والعراق وديار المهجر ، منهم من استراح من متاعب الدنيا ، كما قدمنا ، ولكنهم لم يخلصوا من متاعب النقد ، ومنهم من لا يزال حاملاً نصيبه من هموم هذه الحياة وما تجرّه من مشقات حتى في محيط الادب . ولما لم يكن في الكتاب من تصميم مقرر رأينا ان تقسم درسنا الى ثلاثة اقسام نعرض في اولها لآراء الناقد في شعراء مصر ، وبهم يبدأ كتابه ، ونفرد الثاني لشعراء الوطن ، خاصين الثالث بكلمة نقولها بن شعراء المهجر .

١

## شعراء مصر

شوقي - حافظ - المطران

يبدأ الاديب خليل ظاهر نقده بذكر شوقي فيخصّ به نحو ربع الكتاب ، تاركاً الثلاثة الارباع للشعراء التسعة الباقين . تسيره في كل ذلك عاطفة الاعجاب والاكبار . وهذا كله من ثمار تلك الثقافة الانتقالية التي كانت تفرض على اربابها الاعجاب بالشاعر المصري الكبير ، وتقدر سائر الشعراء بالنسبة اليه . فشوقي ، في نظر صاحب الكتاب ، «الشاعر العظيم» ، و«الشاعر الفذ» ، و«صاحب العقل الفرار الذكاء» ، و«اشهر المتقدمين والمتأخرين اذا نُظر في صفات شعره

(١) الكتاب: ص: ز

(٢) الكتاب: ص: ح

نظرة اجمالية « ، بل هو « امير الشعراء وحامل لوائهم » ، يقول ذلك جاداً ويستشهد عليه بقول حافظ ابراهيم اذ « وقف في مهرجان شرقي وبابيه الامارة » ، على قول الجرائد ، فقال :

امير القوافي ، قد آتيتُ مبابياً : ومهذي وفود الشرق قد بايت مي !

ويستشهد ايضاً بغير ذلك من الاقوال ، حتى يكاد يجعل من شرقي مثلاً اعلى للشعر في كل زمان ومكان . ومن المفككه في ذلك أنه ذكر ، في ما خص حافظ ابراهيم وخلييل مطران ، حكم احد الناهيين المتبصرين القائل : « لو استطعنا المجيء بشاعر واحد من حافظ ومطران - الاول يميانه والثاني بعمانيه - لآخرجنا الى المريية شاعراً نباهي به الثرب . » ذكر الناقد هذا الحكم فاقر « حقيقته الراهنة » ، ولكنه احتاط له بقوله : « لكن يجب علينا ان نستني شرقي . ولعل الخسب ، الاديب اراد القول انه لو وجد هذا الشاعر لنازع شرقي الاارة . »<sup>(١)</sup> ( كذا )

ويضي الناقد في تعداد حسنات شرقي ، مشيراً الى انه كان « ككل شاعر في بداية معالجته النظم ينسج على منوال من تقدمه من الشعراء المبرزين متحدثاً اقربهم الى ذوقه . » وانه كان ، في اوائل شعره ، « ينهج نهج الي الطيب . وليست قصيدته في الحرب التركية اللبنانية الا قصاصة من شعر المتنبي . » ولكن لا تتقدم السن بشوقي حتى يصح الشاعر الشخصي المتكبر فيظهر الفرق لمن « نظر في شعره القديم وشعره الحديث . ولا بدع فوهي سنة التطور والارتقاء . بالرغم من ان له وثبات في ذلك الوقت قلما يتروقت اليها اليوم . »<sup>(٢)</sup> وهذه الملاحظة الاخيرة على قسط وافر من الصحة يتحتمه كل من تابع شعر شرقي في سنواته الاخيرة . ثم يذكر من تلك الروائع الهزلية التي انشدها الشاعر في المؤتمر الشرقي الدولي ، و« خدعها » التي لم يصل اليها شاعر ، والقافية في دمشق ، ومعارضة البردة ، والناقد يفضل مطامها على مطلع « البردة » ، والبيانية التي يخاطب فيها النبي ، والنونية في زحلة ، ومرثيته في سعد زغلول ، واسماعيل صبري ، ومصطفى كامل ،

(١) الكتاب : ص ٥١

(٢) الكتاب : ص ٦

والمنفلوطي . والناقد يجب - وحتى له الإعجاب - بالميسية في رثاء ادرنه « أخت الأندلس » . فبين حسناتها من دقة وصف ، وصدق تمثيل ، وبلاغة تمييز ، وجدة ديباجة ، ورنه موسيقى واستنهاض للهمم ، وتفنن بإيراد الحكم ، كل ذلك في تنسيق محكم . حتى أنك « لا تجد بين ما نظمه المتقدمون قصيدة تناسبت آياتها كهذه بحيث أنك لو اردت الاشارة الى حسناتها لاضطرت الى ابرازها برمتها . وهي وان لم تكن احسن ما نظمه شوقي فانها من عيون الشعر الخالد من تليد وطارف »<sup>(١)</sup> ويقابل بين هذه القصيدة والبائية في وصف مواقع الحرب التركية اليونانية :

بيفك يلو الحق والمحق اغلبُ وبصر دين الله آيان تضربُ

فيرى سمو الاولى وضعف هذه التي « لم يخرج فيها ، على بلاغتها وتفنته في الوصف ، عن طريقة من تقدمه من حيث التشبيه والاستعارات والقول البياني »<sup>(٢)</sup> وقد كان بإمكان الناقد ان يلحق بهذه البائية بائية ثانية نظمها شوقي في انتصار مصطفى كمال على اليونان فسار فيها على اثر ابي تمام ، سيره في الاولى على اثر المتنبي ، كما يقول الناقد . وانفرق فيها في التلاعب اللفظي حتى ادوك الجناس المضحك بقوله عن اليونان :

ما كان ماء سفاريا سوى سقر طفت فاغرقت الاغريق في اللهب  
لا ابرت نارها بتقيهم حطباً كانت فيادعم حمالة الحطاب

والغريب انه لا يزال بين ادياب مصر حتى اليوم من يزعم ان هذا من « الجديد الجيد » ومن « الشعر الفاخر »<sup>(٣)</sup>

ولا يقف صاحب الكتاب عند هذا الحد في ذكر حسنات شوقي الالامه « لم يستعن بغير الذاكرة » وهو ينصح لطلاب الشعر والمتأديين ان يرجعوا الى الديوان « ففيه من المعجزات ما لا نهاية له في الحسن فضلاً عن جلالته التي لم تُنشر بعد »<sup>(٤)</sup>

(١) الكتاب : ص ١٤-١٥

(٢) الكتاب : ص ١٢

(٣) عباس الجمل : في جريدة « الكشاف » ، مصر ، بتاريخ ١٦ ايلول ١٩٢٧

(٤) الكتاب : ص ٢٨

ولما كان النقد الصحيح الصريح ، والكاتب يأخذ به اشد الاخذ ، يقضي بذكر السيئات قضاءه بذكر الحسنات ، دُفع الاديب الى مواجهة نقائص شاعره المفضل . فوطأ لذلك بتوطئة لطيفة بدأها بالقول « ان لا عصمة الا لله ... » وان صناعة الشعر ولاسيا العربي اكثر الاعمال مشقة ... وان الرجل من تلبت حسناته على سيئاته ... » الخ رامياً بذلك الى « نفي الريب عن شاعرة شوقي لدى قلبي الاطلاع الذين يؤخذون باقوال هذا وذاك . »<sup>(١)</sup> والدفاع عن شوقي من الغايات الاساسية في تأليف الكتاب ، كما يستتج من المقدمة .

ثم يأخذ على « امير الشعراء » بعض المفردات النحوية واللغوية والنقائص المروضية كاستناد الردف « الكثير في شعره القديم . » على ان الناقد يحذف وطأة هذا الاخذ بقوله عن الشاعر : « ولعله يعرف ما لا نعرفه . »<sup>(٢)</sup> وبما يأخذ عليه فيعييب كل الاصابة تلك المناقضات المعنوية والشطحات الفكرية التي تكثر في حكم شوقي ، وبعض مقاطعه التاريخية ، ومقابلاته عيسى بحمد ، والهلال بالصليب ، والسيوخ بالخانمين ، وما اشبه من السقطات والاضاليل . على انه في كل ذلك يفتش عن مخرج لشاعره « الفذ . » ثم يلم بسرقات شوقي فيشير الى قسم صالح منها دون ان يذكر اللفظة تأديباً . وهو يدل في جميع ما تقدم على اطلاق واسع الى اعجاب مخلص بالشاعر الكبير .

ويجتم كلامه « بسلام الله على النبوغ والبقرية »<sup>(٣)</sup> بمد ان ينحى باللائمة على شارح ديوان شوقي لاقتصاره على تفسير المفردات دون ذكر الافادات التاريخية اللازمة لفهم بعض الابيات ، وهو يشفق بكل اخلاص ، من ان يأتي في الاجيال المقبلة من لا يفهم هذين البيتين :

ام بالشكاف حول الحق في بلد من اربين ينادي الويل والحربا  
يارب من مات في شرح الشاب جا ومن قضى دوصا جوعان مثرها

(١) الكتاب : ص ٢١

(٢) الكتاب : ص ٢١

(٣) الكتاب : ص ٤٢

فيقول :

« وعنوان القصيدة مشروع ٢٨ فبراير - لا اثر فيه للسنة - ولا شرح لهذين البيتين البتة .

« فيجب اذن على من يقرأها بعد مئات السنين ان يكون نبياً ليدرك ان المفرد في البيت الاول سنوات الاحتلال ، وفي المصراع الاول من البيت الثاني مصطفى كامل ، وفي الشطر الثاني محمد فريد رئيس الحزب الوطني من بعد الاول - والاخير منهما مات في المنفى . (١) قلنا : ومن يقرأ هذين البيتين بعد عشرات السنين ؟ فضلاً عن المئات . . . فليطمئن ادبنا بالأمر !

\*\*\*

بعد ان يقوم الناقد بواجبه نحو « الامير » يلتفت فلا يرى « في لائحة الامة الناطقة بالعربية من مرشح للاربيكة بعد « الامير »<sup>(٢)</sup> سوى حافظ ابراهيم وخليل مطران . فيذكرهما بعد شوقي بمجموعتين في عنوان واحد ، مخصصاً لهما عشر صفحات .

اما حافظ ابراهيم فهو « نسيج وحده في فخامة مبادئه وفصاحة الفاظه » له « في الاجتماعيات مواقف مشهورة » حتى ان جرائد مصر اطلقت عليه لقب « شاعر الاجتماع »<sup>(٣)</sup> « وكثيراً ما يطرق ابواب السياسة والاجتماع مما فيجيد ويطرب »<sup>(٤)</sup> بما خضه به الله من « براءة الاستهلال » . ثم يقم الناقد الشعر الى قسرين : « قسم لتقرأ بنفسك ، والثاني لتسمعه يُلقى . وشعر حافظ من النوع الثاني ، وهو اشبه بموسيقى ذات خمسين بوقاً يرتج لها المكان بما فيه اثر كل ضربة . »<sup>(٥)</sup> حتى اذا طبعت القصيدة وتلاها المطالع منفردة يزول من نفسه ذلك الأثر . ويأخذ الناقد على حافظ بعض المفردات التركيبية وبعض المناقضات المنوية . ومن اللذيد المفيد ان نلاحظ هنا انه كان قد اخذ كذلك على شوقي عدداً من هذه المناقضات المنوية ، فكان حكمه على « امير الشعراء » ان

(١) الكتاب: ص ٤٣-٤٤

(٢) الكتاب: ص ٥١

(٣) الكتاب: ص ٥٢

(٤) الكتاب: ص ٥٥

ذلك « من الزلات المقترة اذ لكل مقام مقال »<sup>١١</sup> وكان حكمه على حافظ ان « الشعراء في كل واد يهيمون »<sup>١٢</sup> .

واما خليل المطران « فابعد الشعراء مرمى ، واصحهم لغة ، شديد الحرص على قوانينها ولو تورم البعض مروقته من انظمتها . ينحو نحو شعراء الافرنج في ايثار المعنى على الجنبى محتفظاً بطريقة العرب في التمييز دون ما نظر الى الزنة - وهي في كنهه ضيره كالتشور بجانب اللباب - ولا تقرأ له كلمة لا تنطوي على كبير معنى ، دقيق التصور ، سامي الخيال »<sup>١٣</sup>

هذا خير اجمال لشاعرية المطران . وقد استشهد عليه الاديب بذكر وقفات شاعر القطرين « كان فيها القرين القمن بان يسمى ثالث القمرين » ، يريد انه يستحق الرتبة الثالثة ، بعد شوقي وحافظ . على ان وصفه الاعلى للمطران يؤوله لمثله اسمى مما يقصد الاديب . هذا وليس في الاينات التي استشهد بها بما يدل على انه اطلع على النيرونية ، وكان من حقّه ان يسهب في وصفها ، لو وقف عليها .

وعلى كل فقد اعتذر المراتب ، في المقدمة ، عن هذا التصدير بقوله انه « لم يكن في يده الا القليل من منظومات حافظ والمطران ووديع عقل وبناره الحُرري »<sup>١٤</sup>

وسنعرض في العدد القادم لآراء الناقد في شعراء الوطن .

(١) الكتاب: ص ٢٧

(٢) الكتاب: ص ٥٢

(٣) الكتاب: ص ٥٧

(٤) الكتاب: ص ٧

